

تقرير

شوقي عشقوتبي
lionbars@hotmail.comصراع النفط والغاز في شرق المتوسط:
تجاذب تركي. أوروبي... وقبرص نقطة ارتكاز

تكمّن الأهمية الاستراتيجية لشرق البحر المتوسط في انه على تقاطع طرق بين ثلاث قارات: أوروبا، آسيا وأفريقيا، كانت دوما مسرحاً للنزاعات الإقليمية. ومع اكتشاف حقول الغاز البحرية، تحول الى ساحة صراع للسيطرة على مصادر الطاقة فيه بين تركيا وإسرائيل ومصر. اما نقطة الارتكاز فهي قبرص التي تقع في قلب الجغرافيا السياسية للغاز في المنطقة

ويحتفظ الجيش اليوناني بفوج من القوات في الجزيرة، يعمل على دعم الحرس الوطني القبرصي، لكنه يتضاءل مقارنة بـ 40 ألف جندي تنشرهم تركيا في قبرص التركية. لهذا دخلت اليونان بالشراكة مع قبرص في علاقيتين عسكريتين تخدمان مصالح قبرص، العلاقة الثلاثية اليونانية - القبرصية - المصرية، والعلاقة اليونانية - القبرصية - الاسرائيلية. أهمية هذه العلاقات ان اليونان تجري باستمرار مناورات عسكرية مع مصر وإسرائيل، وآخر المناورات التي استضافتها اليونان في نيسان الماضي للقوات الجوية المشتركة، شاركت فيها الولايات المتحدة، وإيطاليا، وقبرص، وإسرائيل، والامارات العربية المتحدة.

من ناحية الولايات المتحدة، فانها تحتفظ بقاعدة في جزيرة كريت على بعد اقل من 500 ميل من قبرص. وفي كانون الاول 2018 عززت واشنطن الشراكة الأمنية مع افتتاح الحوار الاستراتيجي الاميركي - اليوناني، وقانون شراكة الطاقة والامن لشرق المتوسط. أهمية هذا التشريع انه سيزيل حظر الاسلحة المفروض على قبرص. وفجأة اطلت فرنسا لدعم قبرص، ذلك ان شركة توتال الفرنسية، وبالشراكة مع شركة ايني الإيطالية، تعملان في الغاز الطبيعي قبالة ساحلها. الدور الفرنسي فاجاً تركيا، لاسيما بعد قيام الرئيس إيمانويل ماكرون قبل ثلاثة اشهر، بتهديدها بفرض عقوبات من الاتحاد الاوروبي اذا لم توقف الحفر. لا يتصرف الرئيس التركي رجب طيب اردوغان كحليف، ويتهم الناتو بأنه يضر بالمصالح الإقليمية التركية. الخطة التي اعتمدها الناتو في شرق البحر المتوسط، كما يتبين، هي تكثيف الجهود لاحتواء تركيا. سيقاوم اردوغان هذا الاحتواء لحماية اطعام بلاده، عندها سيزيد الناتو في تشديد الاحتواء، ما يؤدي الى حلقة تصعيد خطيرة قد تغير العلاقة بين الطرفين بشكل دائم.



الأهمية الاستراتيجية لشرق البحر المتوسط انه على تقاطع طرق بين ثلاث قارات كانت دوما مسرحاً للنزاعات الإقليمية.

جذب القوى البحرية الغربية الى جانبها، مثل الولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا. تعثرت جهودها لانها ليست عضواً في حلف الناتو مثل تركيا، لذا فان ضمان الحصول على اعلانات دعم سياسية من الاتحاد الاوروبي والدول الاعضاء الرئيسية فيه، الى جانب الاجراءات القانونية مثل اصدار اوامر اعتقال دولية لافراد طاقم سفينتي الحفر والشركات المتعاونة مع شركة البترول التركية، يهدف الى ايجاد سياق دبلوماسي لاعضاء الناتو لتعميق التزاماتهم العسكرية تجاه جمهورية قبرص.

وتلعب اليونان دوراً رئيسياً في التوسط في هذه العملية، اذ على الرغم من انها عضو في حلف الناتو فانها ملتزمة الدفاع عن قبرص في حالة وقوع هجوم تركي عليها. وكان تم اضاء الطابع الرسمي على هذا الالتزام في اعلان الجانبين عام 1993 حول عقيدة الدفاع عن المنطقة الواحدة.

تمضي تركيا قدماً في خطوات التصعيد في شرق البحر المتوسط رغم التحذيرات الدولية والإقليمية لها من التنقيب عن الغاز والنفط قبالة سواحل قبرص، ما قد يرفع من حدة التوتر بينها وبين جارتها اللدود والاتحاد الاوروبي ودول اقليمية لها شركات تعمل في المنطقة.

تحرصات تركيا بمكان الطاقة ليست جديدة، وان كانت هذه المرة اكثر اثاراً للقلق الدولي والإقليمي، اذ سبق ان اقدمت بحريتها خلال شباط 2018 على اعتراض سفينة حفر تابعة لشركة ايني الإيطالية، كانت في طريقها للتنقيب عن الغاز المكتشف جنوب جزيرة قبرص. وترافق ذلك مع تأكيد تركي على نية الحفر قبالة قبرص الشمالية (التركية)، وهي الكيان الانفصالي الذي لا تعترف به سوى انقرة.

كونها تفتقر الى قوة بحرية كافية، تحاول قبرص تطوير مستوى من الردع الفعال، من خلال



تتخذ تركيا من قبرص الشمالية التركية ذريعة وقاعدة.

فصول الصراع على مكامن الطاقة في شرق المتوسط تبدو متشابكة الاطراف والخلفيات. فمن جهة، لم تثر التحركات التركية ردود فعل اقليمية معنية مباشرة بالتنقيب في المنطقة مثل مصر واليونان وقبرص فحسب، بل ان اعلان الرفض جاء ايضا من الاتحاد الاوروبي وروسيا والولايات المتحدة الاميركية. ونبه زعماء الاتحاد الاوروبي تركيا الى ضرورة وقف اعمال التنقيب عن الغاز في مياه متنازع عليها حتى لا يتخذ الاتحاد اجراء ضدها، بعد مطالبته من قبل اليونان وقبرص بالتدخل. ووافقت لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي، مؤخراً، على مشروع قانون من الحزبين الجمهوري والديموقراطي لتحديث الاستراتيجية الاميركية في شرق البحر المتوسط، يطالب وزارة الخارجية بمراقبة الانتهاكات التركية في المنطقة الاقتصادية الخاصة بقبرص.

تركيا تتحرك مدفوعة بذريعة اساسي تتمثل في ما تقول انه موافقة من قبرص الشمالية على التنقيب قبالة سواحلها. لكن الى جانب ذلك، فان بعداً مهماً يتمثل باقصى نقاط الضعف لدى انقرة والمتعلقة بتوافر الطاقة، اذ تستورد نحو 60 في المئة من الغاز المستهلك لديها من روسيا، ومن المرجح ان تكون الاكتشافات الهائلة في المتوسط، والتي بدأت في الظهور تباعاً منذ عام 2009، مطمعاً كبيراً لها. ذريعة اخرى، تلجأ اليها انقرة في خضم الازمة، وهي انها لا تعترف بقانونية اتفاق وقعته مصر

ومشروعات للتعاون الاقليمي للربط ونقل وتسييل الغاز. وفي ظل رهان الولايات المتحدة على أهمية مستقبل هذا القطاع وعلى الخارطة السياسية الجديدة للتحالفات في المنطقة، فان دخول مصر على خط تسويق الغاز، يشكل عاملاً داعماً في مواجهة العلاقات المتوترة مع تركيا، التي تم استبعادها عملياً من منتدى الغاز، ويقلل من اعتماد الدول الاوروبية على الغاز الطبيعي الروسي.

تعمل واشنطن على اخراج أوروبا من الاعتماد على موارد الطاقة الروسية وبناء سوق طاقة متكامل لتحفيز التعاون الاقليمي وتعزيز امن الطاقة. وتوضح الخريطة اكتشافات النفط والغاز قبالة سواحل قبرص ومصر وإسرائيل ولبنان على مدار العقد الماضي، وترسم بينها مسارات محتملة للتصدير يمكن ان تسهل في النهاية بيع الغاز الاقليمي الى الاتحاد الاوروبي.

وفيما ترفض الادارة الاميركية التأكيد على ما اذا كان التعاون الاقليمي في مجال الطاقة سمة من سمات خطة السلام بين الفلسطينيين والاسرائيليين، شكل منتدى شرق البحر الابيض المتوسط للغاز، ومقره القاهرة (يضم اضافة الى مصر، اسرائيل واليونان وقبرص والاردن وفلسطين وإيطاليا)، المجال الوحيد الذي جمع اسرائيل والسلطة الفلسطينية حول اتفاقات التعاون المشترك في السنوات الاخيرة مع اكتشافات الغاز على شواطئ غزة. ومع جهود ادارة الرئيس الاميركي دونالد ترامب لتشكيل تحالف استراتيجي في الشرق الاوسط لمواجهة الايرانيين، يلجأ مسؤولو الامن القومي الى منتدى الغاز كأداة استراتيجية اساسية لتعزيز المصالح الاميركية في المنطقة.

رهان ادارة ترامب على محاولة ربط الاطراف المتنافسة من خلال شبكة طاقة، واستخدام هذا التحالف العملي لاثراء المنطقة وتتنوع الواردات الاوروبية واضعاف موسكو، تشكل اولى الاشارات عن العقيدة الاستراتيجية التي لم تكشف عنها بعد ادارة ترامب تجاه المنطقة.

ينقل عن كبار مساعدي الامن القومي للرئيس الاميركي ان خريطة الطريق للسلام في الشرق الاوسط، التي باتت تعرف بصفحة القرن، مرجعيتها خريطة حقيقية معلقة في البيت الابيض، حددت عليها محطات الطاقة وحقول الغاز ومشروع خط الانابيب الطموحة في المنطقة.